

**الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته
للطبيعة الإنسانية (دراسة تحليلية لقصة حي بن يقظان)**

إعداد

الدكتور بشار عبدالله السليح

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الأميرة عالية الجامعية

قسم العلوم التربوية

الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية

(دراسة تحليلية لقصة حي بن يقظان)

دكتور بشار عبدالله السليّم

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية، من خلال قصة حي بن يقظان، وتقديمها بصورة معاصرة، تسهل على المتتبع والمهتم فهمها بسهولة ويسر، وبالنمط نفسه، الذي تقدم فيه الدراسات والنظريات المعاصرة في مجالات التربية، ومن خلال عرض آراءه نلمس أن منهجيته تتصف بالشمول والتكامل لتربية الطبيعة الإنسانية، وقد انطلق ابن طفيل في ذلك من إيمانه بالله الواحد، فالخالق هو أساس الشريعة الإسلامية، وهدف ابن طفيل الوصول إلى معرفة الله والتقرب إليه، وفي ظل هذه التحولات في الوضع الكوني، فإننا نحتاج إلى الكشف عن فكرنا التربوي وتأصيله من منابعه الأصلية، واستهداف الإنسان لبنائه بناءً يقوم على الأصالة والمعاصرة، وخير المنابع لهذا الاستهداف تراثنا العربي الإسلامي المتجدد لنستهدي به ونستلهمه. وستسهم هذه الدراسة إلى فهم الفلسفة التربوية لابن طفيل من خلال رؤيته للطبيعة الإنسانية التي تساعد على فهم قدرات الإنسان وإمكانياته وكيف ننمّيها ونعدلها ونطورها. واشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة أجزاء وخاتمة تضمنت بعض النتائج.

Ibn Tufail Educational Philosophy In The Light of his Views on Human Nature.

(Analytical Study of Hay Bin Yaqdhan Story)

Dr. Bashar A. Al-Saleem.

Abstract

The study aimed at highlighting the educational philosophy of Ibn Tufail in the light of his views on human nature through presenting the story of (Hay Bin Yaqdhan) in a modern way so that the reader can fully and easily comprehend it, and also in the same way as modern studies and theories are presented in the fields of education.

We can, through his views, realize that his methodology is described as comprehensively and in an integrated style as human nature education is.

Ibn Tufail's views stem from his faith in the one and only God ,Allah, our universe creator because this is the basis of the Islamic shari'a and his goal to become closer and closer to Allah. In the view of these transformations in the universe, we need to uncover our educational ideology and derive it from it's original sources and that we should aim at the human to make him go back to his original roots and modernize him at the same time.

The best way to accomplish this, in fact, is our Islamic heritage which we should take it as a guide and a source of inspiration.

The study will contribute to the understanding of the educational philosophy of Ibn Tufail and his views on humans and how to improve them. The study consists of an introduction, 4 chapters, and a conclusion with some results.

١ . المقدمة:

لكل أمة متحضرة تاريخ تربوي أصيل تعتز به اعتزازها بتاريخها القومي وتاريخها الأدبي والعلمي، ولاشك أن معرفة هذا التاريخ التربوي مفيدة إلى أبعد الحدود من الناحية العلمية البحتة، إلى جانب أنها تسهم في بناء شعور الأفراد بذواتهم.

وإذا كانت الأمة العربية باعتراف الشرق والغرب أمة ذات حضارة أصيلة، قد لعبت دوراً مؤثراً في تطوير الحضارة الإنسانية، فمن حق أبنائها أن يعرفوا تاريخهم الأدبي والتربوي؛ لأن هذه المعرفة ضرورية لإثبات الذات من ناحية، والاستفادة العلمية لها من ناحية أخرى في صنع المستقبل. (النقيب، ١٩٨٤م، ص ٩)

أشار رضوان (١٩٨٥م، ص ١٥٧) في إحدى مقالاته: "إن المواطن العربي الذي تعلم في المدرسة يعرف عن روسو أكثر مما يعرف عن ابن خلدون، وعن جيبون وماكولي أكثر من الطبري وابن الأثير، وعن نابليون أكثر من خالد بن الوليد، وعن باستير أكثر من الفخر الرازي، وعن دالتن أكثر من ابن الهيثم، فمن أين يأتي شعوره بعروبه وولائه لها وإيمانه بها".

وساهمت الفلسفة التربوية عبر تاريخ البشرية مساهمة فعالة في توجيه الإنسان نحو أهدافه، إذ أن التربية تواجه أحداثاً ومتغيرات تحاول إيجاد من يقوم عملياتها وقيمها وأهدافها، فتلجأ إلى فلسفة التربية طالبة منها العون، فتقوم هذه الفلسفة بفحص القيم القديمة ونقدها وإبعاد المفهومات القديمة التي لم تعد صالحة، وإيجاد قيم ومفهومات تتلائم مع روح العصر الجديد، ولكن هذه العمليات لا يمكن أن تحدث ما لم تنتظر فلسفة التربية إلى حقيقة الإنسان وطبيعته، وعلى الرغم من اختلاف الفلسفات فيما بينها من حيث الرؤى والأهداف، فقد اتفقت على مسائل للحوار وهي الوجود والطبيعة الإنسانية والمعرفة (السليم، ٢٠٠٥م، ص ١١٧).

ولتعرف أية فلسفة تربوية لأبد من أن تعرف نظرتها للطبيعة الإنسانية التي هي نتاج المقومات الحضارية وآثارها، والحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع الحياة وحصيلته؛ لأن الإنسان في طبيعته وسلوكه مشكلة الوجود ولغز الحياة الغامضة، ولذلك اختلفت الفلسفات في نظرتها للإنسان، وقد اهتم الفلاسفة جميعاً بدراسة الطبيعة الإنسانية، لأن فهمها ووضوحها يساعدان على بناء مرتكزات أو مبادئ عامة لتحقيق أهداف تربوية تقوم الفلسفة بنقدتها وتقويمها، فبناء الفلسفة التربوية يرتكز على مكونات الطبيعة الإنسانية. (السليم، ٢٠٠٥م، ص ١١٧)

إن اهتمام الأمة بتراثها هو بمثابة الاهتمام بكيانها ومصيرها فإذا ما تهاونت في حماية ثقافتها وتراثها فإن مآلها الاندثار والضياع، فكم من أمم زالت وأضحت عالية على أمم أخرى، عندما اندمجت في ثقافات تلك الأمم، وتهاونت في حماية تراثها. (صوفان، ١٩٧٣م، ص ٢٤٧)

ومن المعلوم أن تراثنا العربي الإسلامي أغنى تراث في العالم، وهو تراث نعتز به ولا يجوز لنا أن نفرط به، وهو ثورة فكرية أوقدت جذوة المعرفة لذوي الأبواب في الراغبين في العلم والاجتهاد في حلقات متصلة في جميع حقول المعرفة البشرية وتنوعت المعارف العلمية بين المعرفة العقلية والرياضية والمعرفة الميتافيزيقية والصوفية وفق منهج خاص بالعرب والمسلمين وطرائق في النظر ووسائل المعرفة الحسية والعقلية.

وتتبع أهمية هذا التراث من أنه يمثل الإطار الذي يحدد للعرب والمسلمين هوية متميزة، ويمثل الخلفية الفكرية لتصوراتهم لمجالات الحياة كافة، ويرتكز على أسس إسلامية راسخة ولا يستطيع أحد من المربين والمؤرخين أن ينكر دور العلماء المهم، فالإسلام قدّر العلم والعلماء وسما بالعلم إلى درجة العبادة وعني العناية التامة بجميع أنواع التربية وفرض العلم على كل مسلم ومسلمة وأعطاهما كل وسيلة للتعلم.

إن العودة إلى المنابع الأصيلة في ثقافة الأمة العربية والإسلامية شيء له أهميته لما تواجه هذه الأمة من تحديات على كل المستويات، وخاصة في المجال التربوي، ففي تراثنا العربي الإسلامي ما يلبي احتياجات العصر من الثقافة والتربية واحتياجات الأمن والاستقرار وكافة الأمور الحياتية.

وتعاني الأمة العربية فضلاً عن تيارات الغزو الفكري والثقافي من غموض في الفلسفة التربوية التي تتمثل في ضعف إعداد المعلم وظيفياً ومعرفياً وقصور بعض المناهج، وقلة وجود الحرية الأكاديمية، كما تعاني من اضطراب تقويم المناهج، وسوء الارتباط والتسيق بين مراكز البحث والجامعات، مما يجعلها تعتمد على فلسفات الآخرين دون تدقيق، لتوجيه استراتيجياتها التعليمية وسياستها في وطننا العربي، إن هذه المعوقات أدت إلى التبعية الفكرية التي تخلق في نفوس أبنائنا الوهن والإحساس بالضعف اتجاه الغزو، وذلك لعدم معرفتهم بتراثهم وحضارتهم، وخاصة غياب روح الإبداع والتطوير في التربية لارتباط البحوث التربوية بإطار الغرب مرتكزة على النقل والتقليد مقللة من شأن التربية العربية الإسلامية دون محاولة لاستيعابها وفهمها لينطلق الإبداع والابتكار. (أبو العينين، ١٩٨٨م، ص ٦)

والدراسة هذه تقدم الجوانب التربوية لمفكر عربي اتفقت كلمة القدماء والمحدثين على أنه من أشهر الفلاسفة في المغرب العربي بالإضافة إلى ابن باجه وابن رشد.

ومن هنا وردت للباحث فكرة هذه الدراسة باعتباره من أشهر الفلاسفة العرب، ولأن مكتبته المعاصرة فيها قصور فكري لا يتناسب مع عظمة الموروث من النتاج العلمي.

لقد وضع الفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل، الذي ولد حوالي (٤٩٤هـ / ١١٠٠م) وتوفي عام (٥٨١هـ / ١١٨٥م) الفكر التربوي في قصته (حي بن يقضان) في محاولته التوفيقية بين العقل والروح، فعثر

على الحلقة المفقودة وربط العلة بالغاية والسبب بالنتيجة، فنشأ وربى (حي) وفق أنموذج للإنسان كان وضعه في فكره، ووجد في التربية أداة قادرة على تحقيق الانسجام والتوافق للإنسان، فكان الإنسان عنده هو الموضوع والغرض هو الغاية. (شمس الدين، ١٩٨٦م، ص٦).

ومما ينبغي إضافته في بداية هذه الدراسة أن معنى اسم (حي بن يقظان) لم يكن وليد صدفة، ف (حي) يرمز إلى العقل الفعال أو النفس الملكية المفكرة، وهو عقل خالد حي لا يتغير ولا يهرم، و(يقظان) هو القيوم الذي لا ينام له جفن، ويهدي الإنسان إلى الحقائق عن طريق المنطق ويحذره من إتباع الحواس والغرائز فقط.

وتمثل هذه الدراسة مساهمة لإبراز الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية وتقديمها بصورة معاصرة تسهل على المتتبع والمهتم فهمها بسهولة ويسر، وبالنمط نفسه الذي تقدم فيه الدراسات والنظريات المعاصرة في مجالات التربية عسى أن يكون في ذلك ما يثير دافعية البحث والتتقيب في كتب ومؤلفات العرب المسلمين.

١ - ٢ مشكلة الدراسة:

يزخر التراث العربي الإسلامي، على اتساعه وتراثه المعهود بنصوص وفيرة ودقيقة ومحكمة تخص التربية والتعليم، فقد عنى السلف الصالح من العلماء العرب منذ زمن مبكر وبما تميزوا به من أذهان موسوعية مبدعة باكتشاف القواعد التربوية الصحيحة وبلورتها من منظور إنساني منسجم من الحقائق والأسس الفلسفية المعاصرة التي تأخرت البشرية كثيراً في التوصل إليها.

وفي تاريخ التربية الإسلامية ظاهرة معينة وهي أن التربية في مطلع الحضارة الإسلامية استوعبت حاجات ومشكلات المجتمعات التي شملها المد الإسلامي، كما مكنت الفرد المسلم من استيعاب الثقافات التي واجهها في الأقطار المفتوحة

فتفاعل معها ثم استأنف مسيرة الفكر الإنساني، فكان ذلك الإنتاج الثقافي، وكان التراث العلمي الذي نما وتطور على يد الإنسان الأوربي حتى بلغ صورته التي عليها في العالم المعاصر. (الكيلاني، ١٩٨٥م، ص ١٥)

وهناك جهود مبذولة في حقل التربية الإسلامية هذه الجهود تستهدف إحياء تراثنا وتأصيل فكرنا العربي الإسلامي سواء أكانت هذه الجهود فردية لدراسة شخصية عربية أم كانت دراسة لقضية تربوية على غرار المحاولة التي يقوم بها الباحث حالياً، ولعل هذه المحاولة التي حدد الباحث مشكلتها بـ (الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية) وذلك من خلال تحليل قصة (حي بن يقظان) يمكن أن تكشف عن أصالة فكرنا العربي الإسلامي وعراقته لتكون منطلقاً للتخطيط التربوي هدفاً وقيمةً ومعرفةً وعملاً، وإذا أردنا فلسفة للتربية ملائمة لبيئتنا في الظروف المعاصرة والمستقبلية في ضوء المتغيرات الاجتماعية والتقنية والثقافية التي تجتاح العالم كله، علينا أن نتخذ من نظرة تراثنا للطبيعة الإنسانية مصدراً من مصادر التربية في أهدافها ومنهجها وطريقتها، وفي ضوء هذا يمكن للتربية أن تمارس وظيفتها فتحدث التفاعل بين الفرد وبيئته، وتضمن تجدد الحياة ونموها واستمرارها.

وفي ظل رياح العولمة وهذه التحولات في الوضع العالمي فإننا نحتاج إلى تأصيل الفكر التربوي العربي الإسلامي من منابعه الأصلية، ولا تزال الحاجة ماسة في استهداف الإنسان لبنائه، بناءً يقوم على الأصالة والمعاصرة ونحن في البلاد العربية نتميز عن غيرنا بسمات وخصائص قيمية صبغت تراثنا الحضاري عبر عقود كثيرة من الزمن، ويعد تراثنا العربي الإسلامي منبعاً من المنابع الأصيلة في تراثنا العربي الإسلامي المتجدد لنستهدي به ونستلهمه بدلاً من الضياع بين ثيايا التيارات المتصارعة والمتناقضة واستيراد نظريات الآخرين التربوية وتطبيقها كما هي عندهم.

١ - ٣ أسئلة الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة في منهجها التحليلي على تقديم آراء ابن طفيل بأسلوب معاصر للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم قصة حي بن يقظان؟

٢. ما مفهوم الطبيعة الإنسانية عند ابن طفيل في (الجسم والروح، النفس، العقل، الوراثة والبيئة، الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الخير والشر، النوع (الذكر والأنثى)، الأخلاق والقيم، العلم والمعرفة).

٣. ما الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية.

١ - ٤ أهداف الدراسة:

ستهدف هذه الدراسة إلى تعريف الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية من خلال قصة حي بن يقظان وفي المجالات الآتية:

١. تعريف الطبيعة الإنسانية عند ابن طفيل من خلال: الجسم والروح والنفس والعقل والوراثة والبيئة، الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الخير والشر، النوع، الأخلاق والقيم، العلم والمعرفة.

٢. تعريف الفلسفة التربوية لابن طفيل وفق عناصرها الأساسية من خلال.

- | | |
|-----------------------|----------------------|
| ١. المنطلقات التربوية | ٢. المبادئ التربوية. |
| ٣. الأهداف التربوية. | ٤. محتوى المنهج. |
| ٥. طرق التدريس. | ٦. مراحل التعليم. |

١ - ٥ أهمية الدراسة ومبرراتها:

تتمثل أهمية الدراسة في كونها:

١. مساهمة علمية تعتمد على تحليل آراء ابن طفيل حول الطبيعة الإنسانية

- وتقديمها بصورة معاصرة تسهل على ذوي الاهتمام والاختصاص دراستها وتناولها بالتطبيق مع النظريات الأخرى.
٢. تسهم في تعريف تراثنا الفكري التربوي وتكشف عن أصالته وعراقته في ضوء الفلسفة التربوية لابن طفيل من خلال رؤيته للطبيعة الإنسانية.
٣. يودي فهم الطبيعة الإنسانية إلى تطوير الفكر التربوي وتجديده وإصلاحه فالإنسان مادة التربية بوصفه متعلماً ومعلماً.
٤. أن التراث العربي الإسلامي يحمل في طياته الرؤية الثقافية الخاصة المميزة للأمة العربية واهتمامنا بالمستقبل التربوي العربي يزيد من أهمية التراث وأهمية العودة إليه، وتمثله تمثيلاً موضوعياً وخلقاً، وأن تراثنا التربوي هو معين أصالتنا التي تضمن لنا الاستمرار والتواصل والتميز، وكل ذلك يعين على دراسة قضايا التربية المعاصرة.
٥. أن هذه الدراسة ما هي إلا محاولة جديدة في تأصيل الفكر العربي الإسلامي في مواجهة ما تعانيه الأمة العربية من حالات التمزق الداخلي والاضطراب الخلقي والتبعية الفكرية وفقدان الهوية نتيجة الغزو الثقافي والفكري الناتج عن محاكاة الغرب التي أدت إلى تكوين أجيال عربية قد لا تعرف عن الفكر التربوي العربي الإسلامي ورجاله إلا الشيء القليل.
٦. تمثل دافعاً وحافزاً للإخوة الباحثين والمربين عن أصول النظرية المناسبة لمجتمعنا بما يتميز به من عقيدة وقيم.
٧. تؤكد إمكانية تطبيق النظريات التربوية للعلماء المسلمين بسهولة ويسر يمكننا من تحقيق الأهداف التربوية بوصفها منبثقة من قواعد أسس حياة الأمة وتسعى لمستقبلها الزاهر بين أمم الأرض.

١ - ٦ حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على قصة حي بن يقظان لابن طفيل وفي المجالات الواردة في أهداف الدراسة من خلال:

١. الطبيعة الإنسانية ويحددها الباحث بالجوانب الآتية (الجسم والروح والنفس والعقل، الوراثة والبيئة، الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الخير والشر، النوع، الأخلاق والقيم، العلم والمعرفة).
٢. الفلسفة التربوية ويحددها الباحث بالجوانب الآتية: (المنطلقات التربوية، المبادئ التربوية، الأهداف التربوية، محتوى المنهج، طرق التدريس، مراحل التعليم).

١ - ٧ منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي معتمداً التحليل بكونه أداة أساسية لتحليل القضايا التي وردت في الدراسة ضمن حدود الدراسة. وتحدد منهجية الدراسة في ضوء طبيعة موضوع الدراسة والأهداف التي يتطلع اليها الباحث إلى تحقيقها من وراء إجرائه وموضوع الدراسة الحالية وأهدافها ومتعلق بالذات في قصة (حي بن يقظان لابن طفيل) وعلى هذا الأساس استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي.

٢. الفلسفة التربوية:

التربية عملية منظمة هادفة، مستندة في عملها على مجموعة من المعطيات والأسس التي بناءً عليها يقوم المتخصصون ذوو العلاقة بتطوير النظام التربوي وتنفيذه سعياً لتحقيق الأهداف، ولعل أهم ما يحدد الأهداف العامة للتربية، إنما هي خصائص الأمة نفسها وطبيعتها وهويتها التي قد تميزها عن غيرها من الأمم، فنحن في البلاد العربية، مثلاً نتميز عن غيرنا من الشعوب بسمات وخصائص قيمية صبغت تراثنا الحضاري عبر عقود كثيرة من الزمن، وفي ضوء هذه القاعدة تتفاعل

حضارتنا مع حضارات الأمم الأخرى قبولاً ورفضاً والأمر طبيعي أيضاً عند تلك الأمم.

وتُعد الفلسفة التربوية من أهم مدخلات النظام التربوي التي تسهم في تحديد معالمه وأهدافه، وتساعد على تقييم أدائه وفعالته، وبهذه الفلسفة تبدأ عادة حركات الإصلاح والتطوير لأي نظام، وفلسفة التربية عملية تحليلية تركيبية لمعالجة قضايا التربية وفق منهج فكري متسق وواضح للمخطط والمعلم والطالب وولي الأمر، ومعنى هذا أنها تحليل وتركيب للمفاهيم التي توجه نظام التعليم في مجتمع ما من أجل جعل هذه المفاهيم والتصورات أكثر اتساقاً واضطراباً وشمولاً وتكاملاً، وبذلك تتضح المعالم الفكرية التي توجه نظام التعليم وتحكم مساره. (حسان، ٢٠٠٠م، ص ١١).

وفلسفة التربية تعد نقطة البداية في العملية التربوية والركيزة الأولى الأساسية التي ترتكز عليها بقية الجوانب التربوية الأخرى من أهداف تربوية ومناهج دراسية، وطرائق تدريس وتقويم وإدارة ووسائل تعليمية، وغير ذلك من الجوانب التي لا بد أن تستند إلى فلسفة تربوية توجهها وترسم لها الطريق الذي تسير فيه وتضع لها الأسس والمبادئ التي تقوم عليها. (الشيباني، ١٩٧٩م، ص ١٥)

ومن أولى خطوات الإصلاح والتحسين في العملية التربوية والتعليمية وفي النظام التعليمي التربوي المطبق في البلاد الإسلامية هو العمل على بناء فلسفة تربوية شاملة واقعية مرنة تستمد أصولها ومبادئها من مبادئ الإسلام وأحكامه السامية ومعتقداته المتعلقة بطبيعة الكون والإنسان والمجتمع والحياة وبالعلقة التي تربط بين هذه العناصر جميعاً بعضها مع بعض من ناحية وبينها وبين خالقها من ناحية أخرى والمتعلقة أيضاً بطبيعة المعرفة البشرية وطبيعة القيم الخلقية وبطبيعة العملية التربوية وبوظيفتها في الحياة. (الشيباني، ١٩٦٦م، ص ٧٠ - ٨٧).

والفلسفة التربوية لا تكتمل إلا إذا استطاعت أن تحدد موقفها من الإنسان كعنصر من عناصر الكون وعناصر الوجود الحادث وتحدد تصورها بالنسبة لطبيعة الإنسان وخصائصه وعوامل تكوينه ومكونات شخصيته. (الشيباني، ١٩٧٩م، ص ٤١).

ولن تقوم للعرب قائمة إلا إذا (أعيد بناء) هذا الإنسان العربي بحيث يكون كما كان في عصور الازدهار العربي، وفي ظل التصور الإسلامي للإنسان، معجزة الكون وسر اقتدار ربه وخالقه وخليفته في هذه الأرض. (النوري، عبود، ١٩٧٦م، ص ٣٣٤).

وتعتمد الفلسفة التربوية على فلسفة نظرية؛ لأن معظم المشكلات التربوية الرئيسية هي في صميمها مشكلات فلسفية، ونحن لا نستطيع أن ننقد المثل العليا والسياسات التربوية أو أن نقترح مثلاً علياً أو فلسفات تربوية جديدة دون أن نأخذ في اعتبارنا مثل تلك المشكلات الفلسفية العامة كطبيعة الحياة الصالحة التي ينبغي أن تؤدي إليها التربية وطبيعة الإنسان ذاته، وذلك لأن الإنسان هو الذي نقوم بتربيته، فالفلسفة التربوية تتضمن تطبيق الفلسفة النظرية على مجال التربية وهذه الفلسفة شأنها شأن الفلسفة العامة تأملية ونقدية أو تحليلية أو إرشادية أو توجيهية. (مرسي، ١٩٩٥م، ص ٢٨).

٢- ١ الطبيعة الإنسانية:

يعتبر موضوع الطبيعة الإنسانية من الموضوعات المهمة التي لا يستغني عنها أي دارس للتربية، لأن الإنسان موضوع التربية، ومن ثم ينبغي علينا أن نفهم طبيعة هذا الإنسان حتى نحسن تربيته ونحكمها، وحتى نتعامل معه على أساس رشيد وأن نكيف المناهج الدراسية والعملية التربوية وطريقة التدريس لتتماشى مع طبيعة المتعلم وتكون محققة للأهداف المنشودة فيها.

ويُقصد بالطبيعة الإنسانية فطرة الإنسان التي فطر عليها ، وقد قام الإنسان منذ بدء الخليقة بكثير من المحاولات لتعرف طبيعته وكشف أسرارها وإزالة الغموض عنها ، فالطبيعة الإنسانية شغلت الباحثين والمفكرين في مختلف العصور ، وقد اهتم الفلاسفة جميعاً بدراستها وتحليلها ، وكانت لهم آراء وأفكار بشأنها ، وشغلت الطبيعة الإنسانية أيضاً المربين؛ لأن فهم الطبيعة الإنسانية ووضوحها يساعدهم على التعرف على أسس عملية التربية والتعليم؛ ولأن الوقوف على أبعاد الطبيعة الإنسانية وفهمها هو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي. (حسان ، ١٩٨٩م، ص١٠٣)

وأن معرفة الطبيعة الإنسانية تساعد على فهم قدرات الإنسان وإمكاناته وكيف ننميتها ، كما تساعد على معرفة سلوكه وكيف نعدله ، كما أن هناك اختلافاً حول طبيعة الإنسان ، وليس هناك وجهة نظر واحدة تفسرها وتوضحها ويترتب على ذلك بالطبع اختلاف في اتجاهات التربية وأساليبها. (مرسي ، ١٩٩٥م، ص١١٥)

ومن المهم إذن أن نعرف الجوانب المختلفة لهذه الطبيعة الإنسانية حتى يمكن توجيهها وتربيتها وتنشئتها على أساس سليم.

وليست هناك زاوية واحدة يمكن النظر من خلالها إلى الاختلافات بين الفلاسفة والمفكرين في نظرتهن إلى الطبيعة الإنسانية ، وإنما هناك زوايا متعددة ترجع بالدرجة الأولى إلى غموضها وتعقدها . على الرغم من توفر كثير من المعلومات عن جوانبها المختلفة الجسمية والعقلية والنفسية ولا تزال مناطق شاسعة من الطبيعة الإنسانية مجهولة لنا ومازال الإنسان نفسه لغزاً محيراً يلتف بالأسرار والغموض.

ونادى أفلاطون بسمو العقل على الجسم ، وبنى نظريته على أن الإنسان عقل محمول على الجسم ، واعتبر العقل أسمى من الجسم . وقال أرسطو أن الإنسان

حيوان ناطق، وهذا ما يتفق عليه علماء الاجتماع في أن الإنسان حيوان ناطق، وسادت النظرة الأحادية للطبيعة الإنسانية على التفكير المسيحي، فقد اعتبرت الجسم وعاء أو صندوقاً للروح، كما اعتبرت الإنسان أقرب إلى الشر والخطيئة؛ لأن الطبيعة المادية لجسمه فرضت عليه ذلك، في حين أن الروح لا بد لها أن تتطهر من هذا الشر عن طريق الخلاص، واعتبرت الإنسان أيضاً مخلوقاً بهيمياً تعميه شهواته وتضله عن نزواته ولا خلاص له إلا أن يتطهر من آثامه بقتل الجانب الحيواني فيه.

وقال روسو: إن الإنسان خير بالطبع. وقال هوبز: أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وقال اسبينوزا: أن الإنسان مسير لا مخير. وقال الماديون: أن الإنسان جزء من الطبيعة يخضع لما تخضع له من قوانين وأسس، فهو جزء منها وليس منفصلاً عنها وسلوكه مقنن محدد ويمكن أن يدرس ويلاحظ ويجرب شأنه شأن غيره من الظواهر الطبيعية، وذهب جون لوك إلى القول بأن العقل صفحة بيضاء فارغة لا شيء فيها وأن التربية والتعليم نقش على هذا العقل. وعلى الرغم من جهد المفكرين والفلاسفة في صوغ النظريات التي استهدفت الإنسان يبقى فكرنا الإسلامي هو المنبع الأساس في التربية، تربية إنسانية تحرره من نفسه ومن أمراض المجتمع. (علي، ١٩٨١م، ص ٨١)

إن الإسلام ينظر نظرة تكاملية إلى مفهوم الطبيعة الإنسانية وهي نظرة تقوم على أساس التكامل بين كل جوانب الطبيعة الإنسانية من مادية وغير مادية. ومن فضائل الإسلام على الإنسانية أنه قدّم لها منهاجاً شاملاً قوياً في تربية النفوس وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية، وبذلك حول الإنسانية التائهة من الظلمات إلى النور وإلى العلم والهدى والاستقرار. (علوان، ١٩٨٧، ص ٥)

قال سبحانه وتعالى: ﴿

﴾. (الأنعام ١٠٤)

وقال: ﴿

﴿. (التوبة ٣٣)

وإذا كان الإسلام قد ظهر في البادية العربية التي لم تفكر في علم أو اختراع، بل لتتشط في كل مجالات المعرفة الإنسانية المتعددة الأوجه، حتى فرضت حضارتها على أوروبا وعرفت الكثير من علوم اليونان وفلسفتهم عن طريق العقل العربي. (بركات، ١٩٨٩م، ص ٢٤)

وهدى الله سبحانه وتعالى العرب بالقرآن، وهدى بدعوتهم أعظم شعوب العجم، فتحوا ممالك الشرق والغرب حتى فتحوا بعض بلاد أوروبا، وأسسوا فيها دولة عربية تزخر بالعلوم والفنون والعمران. (علي، ١٩٨١م، ص ٩٢ - ٩٣)

فبالبلاد التي فتحها العرب واستقروا فيها تحولت إلى مراكز حضارية كبرى قصدها طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء العالم، فأسبانيا مثلاً تبدلت أحوالها من جهل وتأخر وانحلال إلى نشاط فكري وتقدم اقتصادي وعمران شامل بعد أن فتحها العرب واستقروا فيها. (شفشق، ١٩٦٨م، ص ١٨٣)

ولا يستطيع أحد أن ينكر ما للعرب والمسلمين من أفضال على الغرب والغربيين وان للعلوم العربية والحضارة الإسلامية أثراً كبيراً في النهضة الأوروبية الحالية. (الأبراشي، ١٩٨٦م، ص ٥)

لقد اختلف المهتمون بأمر التربية في الفكر الإسلامي اختلافاً واضحاً، وقد ظهرت ثلاث مدارس في التعامل مع العالم العربي الإسلامي، فالمدرسة الأولى (الغربية) وهي مدرسة الهروب من التراث العلمي الإسلامي، وتتكرر دور العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين وتعلن الطلاق من التراث العلمي العربي الإسلامي، وتطرح مسألة الارتباط بالفكر الغربي المعاصر مخرجاً للأزمة وتدعو إلى قطع الجذور مع ماضي الأمة وتراثها، أما المدرسة الثانية (السلفية) وهي نقيض الأولى وهي مدرسة الهروب إلى التراث العلمي العربي الإسلامي. وأصحاب هذه المدرسة

يقدمون كل شيء في التراث منطلقين من مقولتهم التبسيطية: إن كل المسائل قد حلها الأجداد ولم يبق أمامنا سوى أن نعرف من الماضي لنحل مشكلات الحاضر. (بدران، ١٩٨٨م، ص٩١)

أما المدرسة الثالثة (الأصالة والمعاصرة) فهي تؤكد الأصالة وفهم المرتكزات والقواعد الأساسية التي تصلح أن تكون قواعد ترتكز عليها المعاصرة، حتى تكون التربية موائمة للبيئة العربية الإسلامية تلك التي تحكم عادات المجتمع العربي الإسلامي وتوجه تراثه الثقافي الأصيل. (مرسي، ١٩٨٨م، ص٦)

فأصحاب هذه المدرسة يرون أن الحاجة ماسة إلى العودة إلى أصول الفكر العربي الإسلامي، وأصول التربية الإسلامية واستخراجها من منابعها المختلفة ومصادرها الأساسية ثم اتخاذها بعد ذلك منطلقاً للفلسفة المنشودة. (عبد الدايم، ١٩٩١م، ص١٧)

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة أجزاء وخاتمة تضمنت بعض النتائج. واشتمل الجزء الأول منها على الإطار العام للبحث، ومشكلته، وأسئلته، وجوانب أهميته النظرية والتطبيقية على السواء، وتناول الجزء الثاني الفلسفة التربوية والطبيعة الإنسانية والدراسات السابقة، وتناول الجزء الثالث تحليلاً لمفهوم الطبيعة الإنسانية في مكوناتها الرئيسية، وقد حدد الباحث فيه الطبيعة الإنسانية بالجوانب والأبعاد ذات الصلة الوطيدة بالعملية التربوية فكرياً وتطبيقاً وتتمثل هذه الجوانب في (الجسم والروح، النفس، العقل، الوراثة والبيئة. الجبر والاختيار، الفرد والمجتمع، الخير والشر، النوع (الذكر والأنثى)، الأخلاق والقيم، والمعرفة)، وتناول الجزء الرابع الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية.

٢- ٣ الدراسات السابقة:

١. دراسة شيخ الأرض (١٩٦١م) هدفت الدراسة التحقيق في حياة ابن طفيل وفلسفته واتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي وعرض كتاب (حي بن يقظان) لابن طفيل وقدم آراء القدماء وتحقق من القصة وقدم تحليلاته لكل ما جاء فيها ، وأهم ما توصلت إليه الدراسة أن فلسفة ابن طفيل قدمت أهم ثلاث مسائل هي:

أ. مسألة النشوء الطبيعي.

ب. مسألة التطور والارتقاء.

ج. مسألة الفرد والمجتمع.

فهي تصور تطور الفرد الإنساني والإنسانية وقدم فيها ابن طفيل بعض التأملات الفلسفية ، وبعض مبادئ الأخلاق التي يدرك الفرد جزء منها ويدرك بقيتها المجتمع ، وعلى مراحل تطور وقدم العلوم التي عرضها ابن طفيل والتي تدركها البشرية على مراحل طويلة وقدم القوانين ونظم العمل وإدراك الله في كل شيء في الطبيعة والتوصل إلى مبادئ الأخلاق.

٢. دراسة عزوز (١٩٧٦م) بعنوان : " التطور المذهبي بالمغرب ودراسة قصة حي بن يقظان " هدفت الدراسة تتبع الفلسفة في المغرب العربي ودراسة قصة حي بن يقظان واستخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، وعرض الباحث في دراسته الفلسفة في المغرب وتطورها وانتقل إلى فلسفة ابن طفيل وحلل قصة حي بن يقظان فقدم الاتجاه العام لها وحقيقة الروح وغايتها ، وقدم العالم ، وتوصل الباحث إلى أن ابن طفيل من الفلاسفة المعدودين ، وفلسفته دمج للأحكام التي وجهت غاية الناس إلى حياة الخلود وقدم نظرية للمعرفة ، وأنواع العلوم للموجودات الطبيعية عن طريق المشاهدة ، والحس والتجربة.

٣. دراسة شمس الدين (١٩٨٦م) بعنوان: "الفكر التربوي عند ابن طفيل" هدفت الدراسة إبراز الفكر التربوي الإسلامي ومميزاته من خلال مفكره مثل ابن طفيل، واتبع الباحث المنهج الوصفي حيث عرضت الدراسة سيرة ابن طفيل والتكوين الفكري له بكونه عالماً وفيلسوفاً ثم علاقته بقصة حي بن يقظان، ويقرر الباحث بأن أصلها يوناني، وتوصل الباحث من خلال تحليل نصوص القصة إلى مرحلتين دراسيتين: الأولى وهي مرحلة نمو حي، والثانية هي التعليم المستمر وهي مرحلة لمن يقرأ القصة ذاتها ويتعلم العلوم التي وردت فيها، وأخيراً استنتج الباحث خصائص تربية ابن طفيل، وأنها تربية طبيعية سليمة، وسبق ابن طفيل فيها الأوروبيين في الفلسفة الطبيعية، ويقصد بذلك فلسفة جان جاك روسو في قصة أميل أو الفلسفة الطبيعية.

أما دراستي الحالية فهي تتناول الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية، وهي اتفقت مع الدراسات السابقة في المنهجية، وأضافت بعد لم يتم تناوله سابقاً على حد علم الباحث في الدراسات السابقة وهو موضوع الفلسفة التربوية عند ابن طفيل من خلال رؤيته للطبيعة الإنسانية.

٣. مفهوم قصة حي بن يقظان:

فإنها تبدأ بالرد على سؤال عن أسرار الحكمة الإشرافية التي ذكرها ابن سينا عن الكشف عن حقائق الوجود، مهد ابن طفيل لقصته بأنه تتبع كلام الغزالي وكلام ابن سينا وصرف بعضهما على بعض وأضاف الآراء التي كانت في عصره حتى استقام له الحق بطريق البحث والنظر والملاحظة. (محمود، ١٩٧٥م)

قدم ابن طفيل ولادة طفل وذكر طريقتين الأولى كخلق آدم عليه السلام أطلق عليها التولد الذاتي من الطين الذي أجرت عليه الطبيعة عدداً من التفاعلات والتسخين والتبريد فأصبحت خلية ثم جرت انقسامات لهذه الخلية على ثلاثة أقسام، ثم ارتبط بروح فأصبح إنساناً (طفلاً)، والطريقة الثانية هي زواج أخت أمير من

شخص يكرهه الأمير، فلما ولد (حي) جعلته أمة في صندوق ثم ألقاه البحر على جزيرة ثم تولت طبيبة إطعام الطفل وأصبحت أول معلميه.

وأدخل ابن طفيل الطفل (سبع مراحل) أسماها أسابيع وكل أسبوع سبع سنوات، وكل مرحلة طوراً عاشها وحده يكون نفسه وأفكاره وبالاحتكاك بالطبيعة وبالكائنات التي هي أقل منه درجات من جماد ونبات وحيوان إلى أن يصل إلى نقطة الإدراك والاتصال. ثم يصل إلى الجزيرة رجل عرف الدين الصحيح عن طريق الأنبياء وتعارفا وتبين للرجل (أسال) بأنه يمكن معرفة طريق الحق ومعرفة الخالق سبحانه وتعالى عن طريق الملاحظة والتفكير والمشاهدة.

ويصل ابن طفيل إلى نتيجة بأنه بإمكان الإنسان السليم الفطرة أن يصل بقواه الذاتية إلى معرفة قوانين العلم ونظم العمل ومبادئ الأخلاق وحقيقة الإله والاتصال به عن طريق العلم والعمل يصل إلى معرفة حقيقة الإله ومعرفة مبادئ الأخلاق والتي تكونت لديه بشكل شعور غامض، ولكنه انتهى إلى أن يكون الأمر مرتبطاً بفيض عن حقيقة الإله سبحانه.

كانت القصة للخاصة وذوي القدرة الفائقة وليس تعليمية، وعرف ابن طفيل عن طريق الملاحظة والتفكير أعظم الحقائق الطبيعية وما وراءها وقد عرض أفكاره بطريقة الفلاسفة.

ويظهر من فلسفة ابن طفيل أنها كانت مادية إلى أقصى حدود المادية، أما هو شخصياً فيتبين من نهاية قصته ومما كتبه عنه المؤرخون أنه كان ديناً تقياً. وقصة حي ابن يقظان ذاعت بين المسلمين وغير المسلمين، فقد ترجمها بوكوك إلى اللاتينية ونشرت عام (١٦٧١م)، ثم ترجمها عنه الإنجليزي جورج كيت وترجمها إلى الأسبانية بونس بويجيس عام (١٩١٠م) وفي العام نفسه ترجمها إلى الفرنسية ليون جوتييه (أمين، ١٩٦٦م).

٤. مفهوم الطبيعة الإنسانية عند ابن طفيل:

قصة حي بن يقظان لابن طفيل هي من أشهر ما تركه لنا، وهي قصة فلسفية عرض فيها أفكاره الفلسفية عرضاً قصصياً محاولاً التوفيق فيها بين الدين والفلسفة. وقد عرفت هذه القصة في الغرب منذ القرن السابع عشر، وأهتم بها الباحثون، وعلقوا عليها وشغلوا بها حيناً من الزمن، ولا تزال إلى الآن فيها كثير من الآراء والأفكار الحية.

وأن ما يميز قصة (حي بن يقظان)، هو الفريدة في اعتماد الفكرة والابتكار في البناء الفني، والبراعة في المعالجة والفعالية في الإحياء. لقد عرض ابن طفيل في هذه القصة سيرة المعرفة الإنسانية، عبر سيرة ربيب طيبة دعي (حي بن يقظان)، وكيف تمكن بفطرته الفائقة من الارتقاء بالمعرفة من الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه وخبره في عالم الكون والفساد حتى خلص إلى الحكمة الشرقية. وتنبه ابن طفيل إلى ما يمكن أن يودي به الفن في التعبير عن فكره الفلسفي، فكان أن استخدم فن القصة، وهذه القصة تقدم لنا فكر ابن طفيل الفلسفي.

وتعرف هذه القصة أيضاً باسم أسرار الحكمة الإشرافية وقد عرض ابن طفيل في كثير من المهارة والوضوح هذه الفلسفة على مراحل متدرجة، متخذاً لذلك إنساناً قصصياً موهوباً قادراً على التفكير، وجد منذ طفولته في جزيرة مقفرة، وهناك استطاع بقوة عقله فقط أن يميظ اللثام عن الفلسفة، وأسس لنفسه مذهباً فلسفياً في أشد صورة صوفية إسلامية. (أمين، ١٩٦٦م).

ولكي نتناول ابن طفيل كصاحب فكر تربوي فلا بد أن نقف على نظريته إلى الإنسان الذي سيقع عليه فعل التربية ونظريته للمجتمع الذي سيربى له وفيه ونظريته للأخلاق والمعرفة، وفيما يلي يقوم الباحث بتحليل فلسفي وتربوي لرؤية ابن طفيل للطبيعة الإنسانية حتى يمكن أن يصل إلى الفلسفة التربوية وبالتالي الإجابة عن الأسئلة التي طرحتها الدراسة.

٤ - ١ العقل والجسد والروح والنفس:

يتكون الإنسان عند ابن طفيل من عقل وروح وجسد في شخصية واحدة متكاملة متناسقة، وبقدر ما يكون بينها من توافق وانسجام يكون تكامل الشخصية الإنسانية، فقد أدرك (حي) أن السمو هو الروح، وقال عنه انه بمنزلة نور الشمس التي هي دائمة الفيضان على العالم وهو واحد متوزع بين جميع الأحياء وتتبع حركة الروح في جسمه فوجد أن مسكنه هو القلب، ولاحظ أنه ينقسم إلى جزأين جزء يقترب بالجسمية، وجزء مجرد عنها هو النفس، وهي معنى "آخر زائد على الجسمية إما واحد وإما أكثر من واحد، فلاحته له صور الأجسام على اختلافها هو أول ما لاح من العالم الروحاني؛ إذ هي صورة لا تدرك بالحس، وإنما تدرك بضرب ما من النظر العقلي ... إن هذا المعنى الزائد على الجسمية هو المهم في الأشياء وهو الذي يسمى في الحيوان النفس الحيوانية، وفي النبات النفس النباتية، وفي الجماد الطبيعية". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥٧)

ويتناول ابن طفيل مسألة خلق الإنسان من خلال تقسيمه عالم الإنسان بعالمين "العالم الأدنى المحسوس والعالم الأرفع المعقول" وأنه ليس هناك تدرج، وأما الفيض فقد بينه بقوله: "ثم إنه مهما نظر شيئاً من المحددات له حسن أو بهاء أو كمال أو قوة أو فضيلة من الفضائل تفكر وعلم إنها من فيض ذلك الفاعل المختار جل جلاله من وجوده ومن فعله". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٧٦ - ١٧٧)

فالنفس عند ابن طفيل هي الأداة الوحيدة التي تمكن (حي) من السمو من العلم الأدنى المحسوس إلى العالم المعقول، والنفس هي الإنسان وما الجسد إلا آلتها. والنفس خالدة إما بألمها أو سعادتها أو ببقائها في حال ليس فيها ألم ولا سعادة، إذاً فالنفس عند ابن طفيل غير الروح الذي هو من أمر الله والذي هو دائم الفيضان من عند الله والذي يسكن القلب، أما النفس فهي "الذات المدركة العاقلة في الإنسان". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٤)

ويذكر ابن طفيل أن العقل قد تكون أثناء تكون (حي) في التوليد الذاتي بعد جملة انقسامات رئيسة منها ثلاثة أولها ورئيسها هو القلب " واشتعلت حرارته تشكل بشكل النار الصنوبري ". والثاني بعده " المتكفل بالحس وهو الدماغ " والثالث " الكبد " وجميع الأشياء المادية تدرك بالحواس الخمسة. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص١٢٦)

وعندما نتابع سيرة (حي) من خلال القصة نجد أن (حي) قد استطاع أن يحيط بكل شيء عن الوجود من أدنى الأجسام المادية وأصغرهما إلى أرقى درجات الصور الروحانية عن طريق العقل الذي أعياه فأصبح متصوفاً وعرف جميع الأشياء عن طريق التأمل.

٤ - ٢ الوراثة والبيئة:

قدم ابن طفيل روايتين لتكوين حي ابن يقضان فالأولى تكون (حي) تكوناً طبيعياً (النشوء المرتجل) من تراب الأرض كما هو حال الجنس البشري في قصة آدم عليه السلام ، والرواية الثانية تكون حي بالشكل الطبيعي وفي تلك الحالتين، وفي الرواية الأولى خاصة يبين ابن طفيل بأن الإنسان وعلى مر العصور الإنسانية يرى الشكل الإنساني صورة وجوهاً " وكذلك أيضاً من الحيوان ما يزيد شدة قبوله للروح أنه يحكي الروح ويتصور بصورته وهو الإنسان خاصة وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته ". (البخاري، ٢٠٠٢)؛ (ابن طفيل ، ١٩٧٤م، ص١٢٥)

ويدلنا ابن طفيل بوضوح على أن نشأة الإنسان تخضع في تطورها إلى عوامل طبيعية من البيئة، وتؤثر هذه البيئة في شخصية الفرد فإنه لا يستطيع أن يتعلم أمراً ما إلا إذا تعلم أمراً آخر سابقاً عليه وجوباً.

ثم أن التربية الاجتماعية تربية مصطنعه قد لا توافق طبيعة البشر ولو أن البشر تُركوا لنشئوا نشأة فطرية حرة كالتى نشأ عليها حي بن يقظان لكانت حالتهم العقلية أعلى مما عليه اليوم.

ونلاحظ هنا أن ابن طفيل يؤكد أثر البيئة في النمو والسلوك، وتأثير البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الشخص بتطوير الميول والاستعدادات قوة وضعفاً.

٤ - ٣ الاختيار والجبر:

تضمنت فلسفة ابن طفيل مفهومي الاختيار والجبر؛ إذ ولد حي بن يقظان ووصل إلى جزيرته بدون اختيار منه كذلك نفسه التي هي "الذات المدركة العاقلة في الإنسان". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٨٠) والتي أدرك بها الوجود الشريف الواجب الموجود باختياره ويتضح من هذا أن ابن طفيل من الجبرية المعتدلين، جعل للأفعال الطبيعية كالذواضع الأولية مثل الجوع والعطش وحب الإطلاع جبرية والمعرفة اختيارية، ولكنها لا تكون إلا لذوي النظرة الفائقة غير مقلدين حتى يتمكن من الوصول إلى المعرفة الحقبة باختياره وإرادته، فالحرية التي حصل عليها في وحدته مكنته من الوصول دون إتباع، ولو أن ابن طفيل لا يرى بأساً من إن تتبع ذوق الفطرة الفائقة وما جاء به الأنبياء للعامة من فرائض، ولكنه يفضل عليها العبادة العقلية. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٦٣)

٤ - ٤ الفرد والمجتمع:

ابن طفيل جعل الفرد أساس تكوين الجماعة، ويقر بأنه لا بد أن يعيش الإنسان ويرجع إلى نشأته بين الجماعة، وقسم المجتمع إلى فرقتين: العامة وهم الكثرة المطلقة، والخاصة وهم القلة ذو القدرة الفائقة والذكاء والفهم والجرأة على التفكير والتعمق في باطن الأمور. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ٢٣٢ - ٢٣٣)

وابن طفيل يلفت نظرنا من خلال القصة أن طلب المعرفة وسيلة من وسائل التغلب على العزلة، وتدفعنا المعرفة إلى الانصراف عن عزلتنا المركزة في ذواتنا وتنقلنا إلى مكان آخر وزمان آخر، حيث نتصل بالذات الأخرى وعن طريق المعرفة يخرج الإنسان من توحده ولا يهمل ابن طفيل الجانب الاجتماعي للمعرفة إذ أنها تساعد على إقامة الاتصال بين الناس.

٤ - ٥ الخير والشر :

يميل ابن طفيل إلى أن الإنسان ولد على الفطرة وأنه ليس خيراً بطبعه أو شريراً بطبعه وإن كانت نظرته أقرب إلى الخير منها إلى الشر، وهذا الإنسان يتغير ويتشكل وفق مؤثرات البيئة، وعلى هذا الأساس فإن الوسط الاجتماعي له أثر كبير في تكوين الإنسان من حيث اتصافه بالخير والشر.

ويذكر ابن طفيل صور الخير والشر في الإنسانية، فأم (حي) ذات طبيعة خيرة وأخوها (رجل غشوم جبار عنيد) وكذلك كل من (اسأل) وسلامات صديقين خيرين. إذن كان ابن طفيل ينظر إلى الطبيعة المحايدة وعن طريق التربية يغلب ويسيطر جانب الخير وهو المعرفة " وإدراك الموجود المطلق الواجب الوجود". (ابن طفيل، ١٩٧٤، ص ١٧٩)

٤ - ٦ النوع [الذكر والأنثى]:

تأمل (حي) بن يقظان الوجود فظهر له أن الموجودات المادية كلها أجسام ولكل جسم مادة وصورة ولا يمكن لإحدهما أن توجد في عالمنا منفصلة عن الأخرى، غير أن الهبولى أو المادة الأولى عارية عن الصورة جملة في خيالنا فقط.

ورأى ابن طفيل أن الحيوان والنبات والإنسان والمعادن تشترك في صفة واحدة هي أنها أجسام، ورأى أن الجسمية شيء ثابت والذي يتغير هو الصورة، يقول: "فتصبح جميع الأجسام التي في عالم الكون والفساد من الحيوان على اختلاف أنواعها والنبات والمعادن وأصناف الحجارة والتراب والماء والبخار والثلج والبرد

والدخان واللهيب والحجر، فرأى لها أوصافاً كثيرة وأفعالاً مختلفة وحركات متفقه ومتضادة". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص١٤٨)

وبذلك فإن ابن طفيل لا يفرق بين الذكر والأنثى، ويؤكد الحقوق التي تقتضيها الطبيعة الإنسانية والفارق الطبيعي له دلالة، فهو آية من آيات الخلق الإلهي ومظهر من مظاهر قدرة الله في عملية الخلق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ (الذاريات: ٤٩)

وبين ابن طفيل أن هذا الجسم له منزلته واحترامه، لذا جعل (حي) يتعلم كيف يوارى جسد الطبيعة بعد أن عرف عن طريق حواسه حركة الجسد وموته، ولاحظ واستنتج الفرق بين الحياة والموت.

٤ - ٧ الأخلاق والقيم:

عاش حي بن يقضان في جزيرة مع الطبيعة بدون مجتمع فهي تتضح من موقف نفسي عاطفي يظهر مثلاً في تلك المحبة وذلك العرفان بالجميل من (حي) نحو الطبيعة التي ربهته، إذ نرى (حي) عندما أسنت الطبيعة يرتاد بها المراعي الخصبة ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها، وبلغت النظر في تربية (حي بن يقظان) ذلك الحنان الذي تضيفه الطبيعة على ربيبها حي، لم يترك ذلك الحنان أمر ترك الطفل ينشأ تنشئة طبيعية بحيث تنمو شخصيته بحرية دون أن تفارقه مربيته الطبيعة، وبعد موتها نجد حي بن يقظان إنساناً يعيش بعيداً عن المجتمع البشري، ويسعى إلى المعرفة ويكتسبها، كما نجد عنده نمطاً من التمدن بالرغم من عدم وجود مجتمع أو مدينه في جزيرته فلا يقطع ثمرة غير ناضجة ولا نباتاً نادراً خوفاً من الانقراض، ولا يلقي نواة إلا في مكان ممكن أن تثبت فيه، وألزم نفسه إلا يرى ذا حاجة أو عاهة أو مضرة إلا ساعده، أو عائقاً في طريق الحيوان أو النبات إلا وأسرع إلى إزالته فكان يرفع الأشواك ويسقي الزرع، وإذا انسد مجرى الماء هرع إلى رفع ما حجز ماؤه. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص١٩٨)

من هنا نرى أن ابن طفيل لديه معرفة بالبيئة الطبيعية الجمالية والنفسية والاجتماعية ولديه اهتمامات بالبيئة ودراية بمشكلاتها ومزود باتجاهات ايجابية لحماية البيئة، وجعل (حي) إنساناً ملتزماً متحملاً للمسؤولية ولديه قدرة على اتخاذ القرار ويصل الموقف الاجتماعي التمدني إلى مستوى التربية الصحية (النظافة)، فقد ألزم (حي) نفسه بالنظافة، فكان يغتسل بالماء في أكثر الأوقات وينظف أسنانه وأظفاره وملابسه " ألزم نفسه دوام الطهارة وإزالة الدنس والرجس عن جسمه والاعتسال بالماء في أكثر الأوقات وتنظيف ما كان من إظفاره وأسنانه ومضامين بدنه وتطيبها ما أمكن من طيب النباتات وصنوف الدواهن والعطور حتى كان يتلألاً حسناً وجمالاً ونظافةً وطيباً". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٩٩)

أما الأخلاق التي وضعها الإنسان والتي جاء بها الشرع كالصدق والأمانة فلم يتعرض لها ابن طفيل؛ لأنه اهتم بفرد عاش متوحداً بعيداً عن المجتمعات، ويرى بأن الأخلاق الوضعية ليست إلا وسائل لغايات أخرى، فقد أهمل الوسائل وقصد الغايات مباشرة، فقد كان صادقاً وأميناً مع بيئته، نباتها وحيوانها وخاصة مع أمه الطيبة ومع نفسه وتوجيهها إلى معرفته بالله.

أما السعادة عند ابن طفيل فهي الاتصال بالله وإما الشقاء فهو البعد عن الله، وهذا الاتصال الذي يجب أن يحدث في الحياة الدنيا وإذا حصل اتصال استمر إلى الآخرة وعكسه يكون الإنسان شقياً في الدارين، فالتقرب حالة إيجابية والابتعاد حالة سلبية يكون الإنسان بعيداً عن الله. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٩١)

وهكذا يرى ابن طفيل "أن الكمال ذاته ولذته إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود الواجب الوجود على الدوام، مشاهده بالفعل أبداً حتى لا يعرض عنه طرفه عين لكي توافيه منيته وهو في حال المشاهدة بالفعل فتتصل لذته دون أن يتخللها الم". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٨٣)

أما سعادة العامة المتمسكين بظواهر الشريعة ثم يقولون بجميع ما فرض الله عليهم في الدين من غير أن يفكروا في أنفسهم "إن هذه الطائفة المريدة القاصرة لا نجا لها إلا بهذا الطريق" (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٨٧). أي لا تصل إلى السعادة الحقيقية فهي بين أمرين أولهما إن حاولت معرفة طريق السعادة أدركت ما فيه من شقاء فأصبحت في ألم دائم لا تستطيع التخلص منه لنقص في فطرتها وقلّة استعدادها العقلي وقصور إدراكها.

وأما الأمر الثاني الذي يكون عليه العامة فهو كونها جاهلة لتلك السعادة العقلية التي ينالها أهل الفطرة الفائقة ثم وافاها الأجل فيكون حالها حال البهائم لا تشعر بال ألم ولا تشاق إلى سعادة فتكون بمأمن من الشقاء العقلي.

وهكذا يتبين أن الأخلاق عند (حي) ليس مجرد إتيان السلوك الفاضل، ولكن تعود هذا السلوك الفاضل والإتيان به في كل مناسبة من المناسبات لأن الفرد تعود ولا يستطيع أن يأتي بعكسه أو ضده.

٤ - ٨ العلم والمعرفة:

المعرفة عند ابن طفيل نهج وصفات تشتق عن طريقين الأول: طريق الحواس "التي تدرك الأجسام وأمزجة الأجسام من صلابة وملاسة". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥٧)

وعن طريق الإشراق الذي يركز على الرياضة الروحية أو ما يسمى الحدس. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٦٣)، وهناك طريق آخر يتبين من خلال القصة وهو الجانب الاجتماعي للمعرفة الذي يساعد على إقامة الاتصال بين الناس وما تتطلبه الحاجة إلى لغة وقوانين. أما النهج والمحاكاة فهي سبل وأسباب يمكن الحصول عليها عن طريق: الملاحظة والمراقبة والاكتشاف والتجربة والاختبار والمقارنة والقياس والاستنتاج والمجاهدة (الحدس) والتصرف، إذا فالمعرفة مكتسبة وليست مخلوقة.

وإن اكتساب المعرفة وتطورها وتدرجها مع تفرعها وتنوعها هي صفات للمعرفة المطلوبة حالياً، وهذا ما نجده عند ابن طفيل عندما يصف مراحل معرفة (حي) وهي:

١. **الملاحظة:** كان (حي) ينظر إلى جميع الحيوانات "فكان ينظر إلى أذنيها وعينيها الظبية". (ابن طفيل ، ١٩٧٤ ، ص ١٣١)
٢. **الاكتشاف:** وعن طريق الصدفة أثناء "قيامه بتشريح الظبية" يكتشف ما بداخلها من أعضاء داخلية وصفاتها ووظائفها. (ابن طفيل ، ١٩٧٤ م، ص ص ١٣٥ - ١٣٩)
٣. **المحاكاة :** حاكا الغربان في دفن أحدهما الآخر فدفن الظبية وقلد "الطير، وأنواع سائر الحيوان محاكاة شديدة بقوة انفعاله لما يريده". (ابن طفيل ، ١٩٧٤ م، ص ١٣٩)
٤. **الحاجة :** كانت الحاجة تدفعه إلى المعرفة، فحاجته إلى اتقاء البرد والحماية دفعته إلى تقليد الحيوان في كسائه وعمل السلاح للدفاع عن نفسه ضد الوحوش "واتخذ الدواجن لينتفع ببيضها وفراخها ، واستعان بالنار وحروف الحجارة حتى صارت شبه رماح". (ابن طفيل ، ١٩٧٤ م، ص ١٤٦)
٥. **التجربة والاختبار :** " انقذت نار في أجمه فوقف منها ملياً وبما ركب الله تعالى في طباعه الجرأة وألقوه فلما بأشرها أحقرت يده فلم يستطع القبض عليها فاهتدى إلى أن يأخذ قسماً لم تستولي النار على جميعها) (ابن طفيل، ١٩٧٤ م، ص ١٤٠)
٦. **المقارنة والقياس والاستنتاج:** وهي نتاج ما يقدم من سبل وأسباب مجتمعه ومنفردة بنتيجة تجربته من تشريح الحيوان استنتج وجود الروح.
٧. **الحدس:** طريق يعرفه ما هو غير محسوس عن طريق ذاته وطريق الحدس

كانت نتيجة لوضعه أسباباً ومسببات " وكل حادث لا بد من محدث " وجعل حدسه يثق أن الله موجود. (ابن طفيل، ١٩٧٤، ص ١٦٤)

٨. **دوام الفكر** : بدون عوامل خارجية حسية توصل إلى السعادة التي تتحقق بمشاهدة الواجب الوجود ذلك أن "سعادة الإنسان وفوزه إنما هو في دوام المشاهدة للموجود الواجب الوجود بحيث لا يعرض عنه طرفة عين". (ابن طفيل، ١٩٧٤، ص ١٩١)

"ويتسنى ذلك بالمشاهدة الصرفة والاستغراق المحض الذي لا التفات فيه لوجه من الوجوه إلا إلى الموجود الواجب الوجود". (ابن طفيل، ١٩٧٤، ص ١٩١ - ١٩٢).

إذا فالمعرفة عند (حي) مكتسبة، لا مخلوقة مع الإنسان، وهذه المعرفة لا تقف عند حد، فهي تتطور، وتندرج، (فحي) يرتقي بالمعرفة عن طريق الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على الاستنتاج من التجربة في عالم الأرض والفساد إلى التأمل في السماء والعالم بأسره خروجاً من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة، وكان لا بد للمعرفة تطورها وتدرجها من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة أن تتفرع جوانبها فتتنوع موضوعاتها، وهكذا توصل (حي) إلى الإحاطة بمواضيع تنتمي للعلوم وهي الصيغ التي اصطلح على تسميتها المعارف الإنسانية. ولم يذكر ابن طفيل تصنيفاً أو تقسيماً للعلوم، ولكن يتبين من خلال القصة أنه صنف العلوم إلى ما يلي:

١. **الطب**: كان ابن طفيل طبيباً وما تشريحه للطب وما تقسيمه لمواضع أجزاء الجسم وعمل القلب والكبد والأعصاب والحواس إلا صورة لمهارته في صنعة.

٢. **الرياضيات**: كانت العلوم الرياضية عند العرب هي علوم العدد بأنواعها والجبر والهندسة ثم الفلك والموسيقى.

أ. **الرياضيات**: استخدم ابن طفيل أدلة رياضية عند البحث عن شكل العالم. (ابن طفيل، ١٩٧٤، ص ص ١٥٢ - ١٦٧)

ب. علم الفلك: أو ما أراد ابن طفيل معرفته هو: هل العالم منتهي أو غير منتهي؟ ولكنه أعتقد أن كل جسم منتهي، وقدم أمثلة على الجسم السماوي والخطان يمتدان إلى ما لا نهاية حتى يكون الخط الناقص والخط الكامل متساويان، وقدم رسوماً توضح شكل العالم الكروي، فالشمس والأرض كرويتان، والشمس أكبر من الأرض، وليست هي مركز الكون كما كان الاعتقاد سائد. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٦٦ - ١٦٧)

ج. الموسيقى: عرف ابن طفيل أثر الموسيقى في النفس فجعل حي ابن يقظان يتأثر بما سمعه عن (اسأل) حينما "دنا منه يسمع قراءته وتسيبجه فسمع صوتاً حسناً وحروفاً منظمه". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ٢٢١ - ٢٢٢)

الطبيعات:

أ. الفيزياء: تكلم ابن طفيل عن الحرارة، ورأى أن لها ثلاثة أسباب الحركة وملاقاة الأجسام (الاحتكاك) والإضاءة (إشعاع)، وقسم أنواع الأجسام الصلبة والشفافة وقابلية كل منها إلى قبول الحرارة ونفاذ الضوء أو انعكاسه عنها. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٦٦ - ١٧٥)

ب. الجغرافيا: اعتبرها من الطبيعات وتكلم عن مناطق الحرارة والبرودة وخط الاستواء وأقاليم الأرض.

ج. علوم الحياة: رسالة ابن طفيل ملخص إلى علم الأحياء وصفات كل نوع فيها الجماد والحيوان والنبات والإنسان والصفات المشتركة وأوجه الاختلاف. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٤٩ - ١٥٠)

٤. ما وراء الطبيعة:

كانت رسالة ابن طفيل تهتم بالطبيعة وشؤونها، ولكن القسم الأكبر والهدف الذي كان يسعى إليه ابن طفيل هو ما وراء الطبيعة، فاهتم بعلم الوجود

المطلق (المكان والزمان والصورة والبيئة وقدم العالم وحدوثه) ثم اهتم بالإلهيات الله سبحانه وتعالى والنبوة والأديان. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥٧ - ١٩٢)

٥. الفلسفة التربوية لابن طفيل في ضوء رؤيته للطبيعة الإنسانية:

كان ابن طفيل طبيباً وأديباً وكتب قصة حي بن يقظان ونقد من خلالها الفلاسفة، ثم بين فلسفته منطلقاً من الحواس مروراً بالعقل ثم الوصول إلى الحقيقة عن طريق الكشف. فكانت فلسفته التربوية مجموعته من المعرفة العقلية الخالصة التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً منطقياً ومنهجياً يستمدّها أيضاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومدعمه بآيات الله تعالى في الطبيعة الإنسانية والمعرفة والتصوف، قابلة للتنفيذ فهي تجريبية في معظم جوانبها تبدأ من الجزئيات وتنتهي بالكلية.

ونظر ابن طفيل إلى طبيعة الإنسان الذي أراد تحقيق فلسفته التربوية من خلال تربيته نظرة تتسم (بالشمول والتكامل) من حيث الاستعدادات الجسمانية والعقلية في نظرته إلى ما حوله من وجود مادي (أرض وأحياء وفلك)، وهو ذو طبيعة محايدة غلبت عليه فضيلة الخير بعد أن عاش بعيداً عن المجتمع فلم يكتسب صفات السلب، بل اشتق كيانه من بيئته واستطاع أن يسيطر على دوافعه الفطرية من أجل طموحه، وكان مجبوراً في شكله وأفعاله الطبيعية وحرراً في معرفته وعلمه فبلغ السعادة المتواصلة من الدار الأولى إلى الآخرة.

٤- ١ المنطلقات التربوية:

١. **النظرة إلى الإنسان:** يرى ابن طفيل أن الإنسان يخلق مزوداً بطاقات واستعدادات فطرية متى توافرت الظروف والشروط الموضوعية (الحاجات الأساسية) لكي تنمو وتقوى حتى تحقق الغرض الطبيعي الذي أوجدت لأجله "إذ ليس لها هنا إلا جسم وأشياء نحس عنه بعد أن لم يكن مثل الكيفيات والحركات". (ابن طفيل، ١٩٧٤م،

ص ص ١٥٧ - ١٥٨)

٢. **الجسد** : يرى ابن طفيل بأن الجسد لكي ينمو ويأخذ حجمه في الطول والعرض والامتداد يحتاج إلى الغذاء والكساء ليؤدي وظيفته التي وجد لأجلها وتنمو هذه الحاجات وتتأكد مع نمو الجسد "ينظر إلى جميع الحيوانات فيراها كاسية الأوبار". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٣٠). وأما مقدار ما يأكل فيجب "أن يكون بحسب ما يسد خلة الجوع ولا يزيد عليها". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٩٥).

٣. **العقل** : فطرة خلق في طبيعتها النزوع للبحث عن المعرفة والسمو الدائم لتحصيل ما لم يسبق تحصيله (يقصد ابن طفيل القلب) إذ يعتقد وجود الروح في أحد جوانبه "أما الدماغ فهو المتكفل بالحس" (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٦). فالماديات والمحسوسات هما المعوقان له عن تحقيق ماهيته. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٦).

٤. **العواطف والانفعالات** : تتكون نتيجة الخبرات والتجارب والعلائق الناشئة بين الفرد (البيئة الداخلية) والمحيط الخارجي "فألفته الوحوش وآلفها ولم تنكره ولا أنكرها فلما ثبت في نفسه أمثلة الأشياء بعد تغيبها عن مشاهدته حدث له نزوع إلى بعضها وكراهية لبعض". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٩).

٥. **البعد النفسي** : والأمن والعاطفة (الحنان) البقاء الاستمرار وغيرها من الحاجات النفسية التي ضمنها ابن طفيل قصته "إن الظبية التي تكفلت به وافقت خصباً ومرعى ... وألف الطفل تلك الظبية" (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٨).

٦. **البعد الاجتماعي** : استبعد ابن طفيل العوامل الاجتماعية؛ إذ لم يرها ضرورية لحياته الفكرية التي هدف لها وللتربية التي ربي بها (حي). وكانت غايته أن يثبت أن عقل الإنسان المتوحد البعيد عن تأثير البيئة الاجتماعية يستطيع أن

يرقى من تلقاء نفسه إلى أسمى درجات المعرفة ، ولكن الإنسان الذي يستطيع أن يرقى هذا الرقي الطبيعي المستقل إنما هو الإنسان ذو الفطرة الفائقة لا كل إنسان . فمن ينشأ نشأه طبيعية كان أقوى من الذين ينشأون نشأه اجتماعية فاسأل لما علم بدرجة وصول (حي) "نظر إلى حي بن يقظان بعين التعظيم والتوقير". (ابن طفيل ، ١٩٧٤م ، ص ٢٢٦).

٤ - ٢ - المبادئ التربوية:

١. إن الدوافع والحوافز المحركة لتحصيل المعرفة كما يراها ابن طفيل هي:
الحاجات الأولية البيولوجية: وهي حاجات البقاء كالأكل والشرب والنوم والأمن ، وقد دفعته إلى التفكير لإيجاد مأوى والبحث عن الطعام عن طريق الالتقاط والصيد واستخدام الآلات الضرورية لذلك " فاتخذ من أغصان الشجر عصياً وسوى أطرافها وعدل متنها وكان يهش بها على الوحوش" (ابن طفيل ، ١٩٧٤ ، ص ١٣١).
٢. **حب الإطلاع :** للكشف عما يحيط به (البحث والكشف عن الحقيقة " كان يحاكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير وأنواع سائر الحيوانات محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريد". (ابن طفيل ، ١٩٧٤م ، ص ١٢٩)
٣. **العاطفة:** نتيجة ما يحيط به من حيوانات ونبات وجماد تكونت لديه ميول سلبية نحو الوحوش المؤذية ، وميول إيجابية نحو الضعيف والمحتاج نباتاً أو حيواناً فحزن لوفاة أمه الطيبة واعتنى بالزرع وارجع سير السواقي التي عاق سيرها عائق.
٤. **التفكير والتأمل:** نظر وأحس بما يحيط به فتأمل الوجود وكيف تستمر الحياة من حوله ثم انتقل إلى ماهية الروح فانتقل من المحسوس إلى المعقول وكانت لديه مصادر للمعرفة ، منها الحواس التي تعرف بها على من حوله ثم العقل فكر وتأمل به.

واستخدم ابن طفيل منهجاً خاصاً من حيث الطريقة والأسلوب والوسيلة تتمثل بما يلي:

١. **الانتقال من البسيط إلى المركب** : " علم أن معرفة الأقل أسهل من معرفة الأكثر". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥٩)
٢. من المحسوس المرئي إلى غير المرئي، ومن اكتشاف ما في الجسد من أعضاء وانتقالاً إلى الروح.
٣. **من المحسوس المجرد**: يرى بأن (حي) توصل إلى الفصل بين المادة الأولى للأجسام وصورة الأجسام، وتوصل إلى مبدأ العلة والوحدة والكثرة، ومعنى الجسمية، وماهية النفس الحيوانية والنفس النباتية.
٤. **من الجزئي إلى الكلي ومن الخاص إلى العام** : الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ومن التجزئة إلى الوحدة والشمول . يقول ابن طفيل في (حي) "وكان يحكم بأن الروح الذي لجميع ذلك النوع (الحيوانات) شيء واحد، ويجعل كثرة أشخاصه بمنزلة كثرة أعضاء الشخص الواحد ". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٤٤ - ١٤٥)
٥. **الخبرة والتجربة**: ظهر أثر ابن طفيل وعلمه في القصة فبنى منهجاً تجريبياً ليرتقي بخبرات (حي) ويرتقي به وهو منهج علمي مبني على (التحليل، التركيب، الاستقراء، الاستنتاج) فجعل (حي) يقارن ليصل إلى الحقائق ويجرب ويعيش التجربة " فكان يجمع في نفسه جنس الحيوان وجنس النبات فيراهما جميعاً متفقين في الاغتذاء والنمو. (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥١)
- "وكان يرى أن الهواء إذا ملئ به زق جلد، وربط ثم غوص تحت الماء طلب الصعود وتحايل على من يمسكه تحت الماء ولا يزال يفعل ذلك حتى يوافي موضع الماء وذلك بخروجه من تحت الماء حينئذ يسكن ويسود ذلك التحايل". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٥٤)

٤ - ٣ الأهداف التربوية:

تتبنى الأهداف التربوية من الفلسفة التربوية، إذ تحدد ما تصبوا له الفلسفة حتى تتمكن العملية التربوية من تحقيقها وتبين من فلسفة ابن طفيل التربوية أن هدفه العام هو السعادة الدائمة بالوصول والمشاهدة وإشراق النفس والاتصال بالموجود الواجب الوجود.

ولكي يتمكن من الوصول إلى هدفه العام حدد أهدافه التربوية الخاصة أو السلوكية، فكانت نتيجة مباشرة لسلوك يهدف منه إلى معرفة منفردة، أو إجابة على سؤال عليه، أو ليكتشف شيئاً آثار حبه للمعرفة. فعرف حقيقة الأجسام والروح وكل جسم ثم توصل إلى قدم العالم وحدوثه، ثم توصل إلى كمال الله ثم توصل إلى السعادة، وأدت هذه الأهداف السلوكية المعرفية وظائفها البيولوجية والنفسية والعقلية حسبما أراد ابن طفيل وحتى وهو حينما حقق أهداف الفرد (حي) نتيجة لتربيته الطبيعية الخاصة حاول من خلالها تحقيق تربية المجتمع الذي يرغب في أن يتكون من أفراد أمثال (حي)، ولكنه وضع شرطاً أن يكونوا من ذوي الفطرة الفائقة ممن يتوصلون عن طريق العقل كما حدث لـ (حي) أو عن طريق هداية الأنبياء كما حدث (لأسال) ووجد أن الهدف العام تحقق أيضاً عن طريق الدين ولا يوجد تعارض بين الطريقتين المنقول والمعقول "فانفتح بصر قلبه وانقذت نار خاطره وتطابق عنده المعقول والمنقول". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ٢٢٦)

أما الأهداف التي تحقق الاتجاه الأخلاقي عند ابن طفيل فهي لا تتحقق باستئصال نزعات النفس، بل بتعزيز الأخلاق الجيدة خلال معاملته مع الأحياء الأخرى وعن طريق مجاهدة النفس بالرياضة.

٤ - ٤ محتوى المنهج:

كان ابن طفيل في الأندلس وكان منهج دراستهم "يشمل تعلم القرآن والكتاب ويخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم

بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط الكتاب". (ابن خلدون، ب ت، ص ٥٣٨)
ثم سكن ابن طفيل مراکش وكان أهل المغرب " يقتصرون على تعليم القرآن لأولادهم وأخذهم أثاء المدارس بالرسم ومسائلة " (ابن خلدون، ب ت، ص ٥٣٨) واستخدم ابن طفيل في تربية (حي) منهجاً خاصاً لا يأخذ بمنهج أهل الأندلس ولا أهل المغرب يشمل ما يلي :

١. العلوم التطبيقية المتصلة بالحواس مباشرة فعلمه الصيد ثم علوم الحياة وعلم الفيزياء لمعرفة الخواص الطبيعية للمواد ثم علم الفلك والجغرافيا والعلوم النظرية كالإلهيات وجميع هذه العلوم تعلمها (حي) ذاتياً وهو متوحد ومعزول عن المجتمع.

٢. اللغة: تنشأ اللغة من حاجة الإنسان إلى التعبير عن انفعالاته الفطرية كالخوف والحزن والجوع، وكان (حي) يقلد في ذلك كله أصوات الحيوان " وأكثر ما كانت محاكاته أصوات الطباء في الاستصراخ والاستدعاء والاستدفاع " (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٩). وبعد أن قدم (اسأل) إلى الجزيرة تعلم (حي) اللغة بالتقليد والتلقين والتكرار " كان يشير له إلى أعيان الموجودات وينطق بأسمائها ويكرر ذلك عليه ويحمله على النطق فينطق بها مقترناً بالإشارة حتى علمه الأسماء كلها ودربه قليلاً حتى تكلم في اقرب مدة " (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ٢٢٣)

٣. الدين : علم (اسأل) لحي بن يقظان " الفرائض ووضعه من العبادات فوصف له الصلاة والزكاة والصيام والحج وأشبهها من الأعمال الظاهرة فتلقى ذلك والتزامه " (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ٢٢٧)

٤- ه طرق التدريس:

يتعلم المتعلم بمقدار مشاركته في عملية تعلمه وهذا مبدأ من مبادئ التعلم حديثاً، ويزداد التعلم بالتدعيم الإيجابي إذا ما توصل المتعلم من خلال تعلمه إلى

تعزيز أو إثابة، وبهذا يزداد احتمال انتقاله إلى طلب معرفه أخرى، وستشمل الطرق ما وجدناه فعلاً في قصته وما نص عليه ودعا إليه، إذا كان (حي) يتدرج لتحصيل المعرفة ويرتقي، وقد استخدم طرائق التعليم المتعددة ومنها:

١. تجارب العرض: وهي التي تعتمد على إجراء التجارب من قبل الغير أمام المتعلم فيشاهد ويتعلم، وتعلم (حي) بهذه الطريقة، فكان يشاهد الحيوانات في أكلها وفي غطاء جسدها وفي قتالها وتقليدها وحين رأى الغرابين يقتتلان ثم يوارى الحي منها الميت قلدها ودفن جسد الطيبة الأم، وتم هذا النوع من التعلم عند (حي) عن طريق الحواس.

٢. الطريقة الاستطلاعية أو الاستكشافية: هي طريقة تجعل المتعلم مركزاً للعملية التعليمية فيتعلم بنفسه ويكتشف المدركات والمبادئ العلمية ويمارس العمليات العقلية بدلاً من المعلومات الجاهزة، وقد جعل ابن طفيل (حي) يستخدم قابلياته ومعلوماته التي يحصلها من المشاهدة ليحصل المعرفة وتتكون لديه معرفة عقلية.

٣. طرق تعلم المعرفة الصوفية: وهي تربية ليس لها نظام مقرر؛ لأنها ليس علماً ولا معرفه تقتنى وإنما هي سلوك يكتسبه الإنسان برياضة النفس على قبول الحقيقة الإلهية وذلك بكف النفس عن الهوى وقطع علائق القلب عن الدنيا وتدرج (حي) فكان لا يتغذى إلا بما يسد جوعه "فرأى أن يكون جوعه بحسب ما يسد خلة الجوع ولا يزيد عليه" (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٩٥) "والترزم ضروب الحركة والاستدارة فتارة يطوف بالجزيرة وتارة يطوف ببيته إما مشياً وإما هرولة وتارة يدور حول نفسه حتى يغشى عليه". (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٩٩).

٤. التقليد: قلد (حي) كل ما شهد في الوجود المحيط به وحفظه وتعلم اللغة عن طريق (أسأل).

٥. المناظرة: تعلم المناظرة وعلم بها عندما لقي (اسأل) ثم رحل معه إلى جزيرته.

٤ - ٦ مراحل التعليم:

قدم ابن طفيل من خلال قصته مراحل التعليم وفلسفتها متمثلة في مظاهر النمو (الجسمي، الحركي، الحسي، العقلي، اللغوي والانفعالي) بكونها وحدة متماسكة، وقسم ابن طفيل عمر الإنسان أو مراحل النمو في قصته إلى مراحل زمنية:

١. المرحلة الأولى:

تبدأ من ولادة الطفل ووصوله إلى الجزيرة وتولي الطبيعة تربيته وإرضاعه "فتربى واغتذى بلبن تلك الطبيعة إلى أن أتم حولين وتدرج في المشي فكان يتبع تلك الطبيعة" (ابن طفيل، ١٩٧٤م، ص ١٢٨) فضمت هذه المرحلة مرحلة الرضاعة من الولادة لغاية سنتين، ومرحلة الطفولة المبكرة فهذه التربية في هذه المرحلة هو سد الحاجات الأولية، وأما وسائلها فكانت التقليد والمحاكاة ثم نمت عقله وبدأ يفكر فقارن حالته وصورته بمن حوله.

٢. المرحلة الثانية:

وتبدأ من العام السابع إلى الواحد والعشرين، في هذه المرحلة تضم الطفولة المتأخرة ومرحلة المراهقة التي تتميز بالنمو الجسمي، بحيث يصبح فيها (حي) قريباً من سن الرشد قوياً متميزاً، وتميز نموه الحركي، فاكتشف جزيرته واتخذ له مأوى وأعد ملابسه ونما عقله فطلب المعرفة، ونما وجدانه فمال إلى أنواع أخرى من الحيوانات وتجنب أخرى.

وتعددت أهداف التربية في هذه المرحلة فهو مطالب أن يكون قوياً ضد الوحوش، وأن يعرف أكثر ما حوله ويستكشف جغرافية جزيرته وأنواع الحيوانات والنباتات والجماد، وكانت وسيلة معرفته هي كل ما كان بالجزيرة من أحياء وجماد توصله إلى درجة من إدراك الحقائق ومقدمات ومقولات تكون أساسية

وضرورية لما سيليها ويتبعها من إدراكات وحقائق أكثر تجريداً والحقائق التي بلغها (حي) في هذه المرحلة مكنته من :

- أ. الكشف عن العلاقة بين أشياء متعددة كالجسد والروح.
- ب. ربط الإدراكات والمعارف بالوسائل المؤيدة لها وربط الإدراكات الحسية بالحواس.
- ج. التوصل إلى مبدأ الحركة (أعلى وأسفل) والسكون، ومبدأ التعدد والوحدة عن طريق الخصائص المشتركة وغير المشتركة بين الكائنات (طول، عرض، عمق).
- د. التوصل إلى ماهية الأجسام والعناصر وخصائصها، الماء والتراب والهواء.
- هـ. اكتشاف عالم الكون والفساد وتحلل العناصر إلى أخرى، الماء إلى بخار والنار إلى قوة محرقة.

٣. المرحلة الثالثة:

تبدأ من عمر الواحد والعشرين حتى الثامنة والعشرين، وهذه المرحلة هي امتداد لما قبلها، فاتسعت دائرة معرفة (حي) واخذ يتساءل عن الأجسام السماوية والفلك وقدم العالم وحدوثه، والسعادة والعلاقات، ولما بلغ نمو عقله حداً معين طلب العلم الذي فيه التجريد عن كل مادة وكل حس ليصل إلى سر السعادة، وكانت وسائل معرفته التفكير المجرد ثم المجاهدة والرياضة.

٤. المرحلة الرابعة:

تبدأ من الثامنة والعشرين وحتى الخمسين، وتهدف إلى استمرار المشاهدة والتربية الاجتماعية ولقاءه بأسال ليتعرف على المجتمع البشري، أما وسائل معرفته فهي اللغة وتبادل (حي) الأفكار مع (اسأل) ثم سافر إلى مجتمعة، ثم اعتزل حي بن يقظان المجتمع بعد أن عجز عن تعليم الجمهور ورجع إلى جزيرته . وأن سعادته

تكون في ديمومة المشاهدة لهذا الموجود الواجب الوجود، ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها هو لنفسه.

٥. الخاتمة:

ومن خلال عرض آراء ابن طفيل في قصته حي بن يقظان والمتعلقة بالطبيعة الإنسانية نلمس من خلال منهجيته أنها تتصف (بالشمول والتكامل) لتربية الطبيعة الإنسانية، وقد انطلق ابن طفيل في ذلك من إيمانه بالله الواحد، فالخالق هو أساس الشريعة الإسلامية، وهدف ابن طفيل إلى الوصول إلى معرفة الله والتقرب إليه.

وركز ابن طفيل على أهمية الأخلاق وتهذيبها وضبط السلوك وتكوين الأخلاق الحسنة بمنأى عما يعيق نموها الطبيعي في المجتمعات الإنسانية وعلى أهمية البعد الاجتماعي في تنمية الشخصية الإنسانية عند تفاعلها مع البيئة في شخصية (حي)، كما يتبين من خلال تحليل الطبيعة الإنسانية عند ابن طفيل أنه يؤكد على التكامل والانسجام بين أجزاء الطبيعة الإنسانية واستهدف الإنسان بكونه كلاً متكاملًا فخاطب ميوله ورغباته وقيمه ومثله الإنسان، كما يرى ابن طفيل ذو طبيعة محايدة بين الشر والخير ويغلب عليه الخير عن طريق الاكتساب والتعليم وهو ذو طبيعة متوازنة بين واقعية الحياة والإيمان بالغيب، أما الجبر والاختيار فهو مجبور وراثياً وفي الأفعال الطبيعية اللاإرادية حر مختار في اكتساب الخبرة والتعلم والعمل بهما، مسيطر بقوته المتسلطة الموجبة التي تضبط نوازعه، والإنسان ذو سمات فاعلة سوية مع المجتمع متحفظ بكيانه الخاص وأهدافه التي تسير بانسجام مع أهداف المجتمع.

ويمكن القول بأن الفكر التربوي العربي الإسلامي يعتبر منبعاً أصيلاً لفكرنا التربوي المعاصر لما قدمه من مبادئ وتطبيقات عملية تتلاءم مع تطورات العصر وأحداث الحياة.

٦. المراجع:

- أمين، احمد (١٩٦٦م). حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، ذخائر العرب (٨) ط٣، دار المعارف، مصر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ب، ت) مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت.
- ابن طفيل (١٩٧٤م). حي بن يقظان، قدم له وحققه فاروق سعد، ط١، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- أبو العينين، علي مصطفى (م١٩٨٨). منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد الرابع والعشرون السنة الثامنة.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (٢٠٠٢). صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، الحديث رقم (٣٣٢٦)، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، بيروت.
- بدران، إبراهيم (١٩٨٨م). الفلسفة العربية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الثاني الذي نظمتها الجامعة الأردنية، بيروت.
- بركات، أحمد لطفي (١٩٨١م). الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، دراسة نفسية تربوية اجتماعية، دار المريخ للنشر، الرياض.
- رضوان، أبو الفتوح (١٩٨٥م). "مقال فلسفة الجماعة وسلوك الأفراد" مجلة مرآة العلوم الاجتماعية، العدد الخاص بالتربية العربية.
- حسان، محمد حسان (١٩٨٩). دراسات في فلسفة التربية، دار المعارف، القاهرة.
- حسان، محمد حسان وآخرون (٢٠٠٠). دراسات في فلسفة التربية، جامعه عين شمس، كلية التربية، القاهرة.

السليم، بشار عبد الله (٢٠٠٥م). مفهوم الطبيعة الإنسانية عن الغزالي وفلسفته لتربيتها، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد الثالث، العدد الأول.

شفشق، محمود عبد الرزاق، ومنير عطا الله سليمان (١٩٦٨م). تاريخ التربية، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة.

شمس الدين، عبد الأمير (١٩٨٦م). الفكر التربوي عند ابن طفيل موسوعة التربية والتعليم الإسلامية، ط٢، دار اقرأ، بيروت.

الشيواني، عمر محمد، (١٩٧٩م). من أسس التربية الإسلامية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا.

الشيواني، عمر محمد (١٩٦٦م). آراء في الإصلاح التربوي، من سلسلة الكتاب الليبي رقم ١، وزارة الإعلام والثقافة، ليبيا.

شيخ الأرض، تيسير (١٩٦١م). ابن طفيل، إعلام الفكر العربي، (١٨) منشورات دار الشرق الجديد، بيروت.

صوفان، عاكف يوسف (١٩٨٧م). التحدي الثقافي والإعلامي، من وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي، للفترة من ١ - ٣ شعبان (١٤٠٥ هـ) الموافق ٢١ - ٢٣ أبريل، مكتب التربية لدول الخليج، مسقط عمان.

عبدالدايم، عبدالله (١٩٩١). نحو فلسفة تربوية عربية، الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي، دراسات في الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

عزوز، محي الدين (١٩٧٦م). التطور المذهبي في المغرب ودراسة قصة حي بن يقظان، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

علوان، عبدالله ناصح (م ١٩٨١). تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت.

علي، سعيد إسماعيل وآخرون (١٩٨١م) دراسات في فلسفة التربية، عالم الكتب، القاهرة.

الكيلاوني، ماجد عرسان (١٩٨٥م)، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، بيروت.

الأبراشي، محمد عطية (١٩٨٦م). التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة.

مرسي، محمد منير (١٩٩٥م). فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، القاهرة.

مرسي، محروس سيد (١٩٨٨). التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة.

محمود، عبد الحليم (١٩٧٥م). فلسفة ابن طفيل ورسالة حي بن يقظان، دار الكتاب اللبناني، ط٣، بيروت.

النقيب، عبدالرحمن (١٩٨٤م). فلسفة التربية عند ابن سينا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

النوري، عبد الغني، عبود، عبد الغني (١٩٧٦م). نحو فلسفة عربية للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة.